دار الفكر

دار الفكر المعاصر

أبو حامد الغزالي

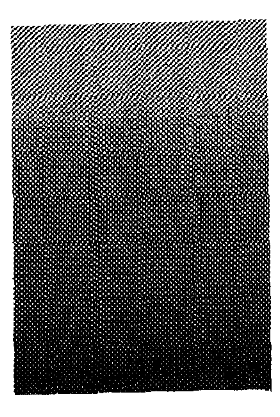


أسرار الصوم

تحقيق

ماهر المنجد





بسم الله الرحمن الرحيم

أسرار الصوم

أسرار الصوم/ أبو حامد الغزالي؛ حققه وعلق عليه وقدم له ماهر المنجد. - دمشق : دار الفكر، ١٩٩٦ . - ٦٤ص؛ ١٧سم

١- ٢١٦,٢٢غ ز ا أ   ٢- العنوان

٣- الغزالي   ٤- المنجد

مكتبة الأسد

ع- ١٥٨٤/ ١١/ ١٩٩٦

الإمام
أبو حامد الغزالي

أسرار الصوم

حقّقه وعلّق عليه وقدّم له
ماهر المنجد

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية



الرقم الاصطلاحي : ١٠٨٥,٠١٣
الرقم الدولي : ISBN: 1-57547-305-4
الرقم الموضوعي : ٢١٠
الموضوع : علوم دينية
العنوان : أسرار الصوم
التأليف : أبو حامد الغزالي
التحقيق : ماهر المنجد
الصف التصويري : دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي : المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات : ٦٤ ص
قياس الصفحة : ١٧×١٢ سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
سورية - دمشق - ص.ب (٩٦٢).
برقياً : فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.Fikr.com/
E-Mail: Info @Fikr.com

الطبعة الأولى
1417هـ = 1996 م

المحتوى

الموضوع	الصفحة

مقدّمة المحقّق

وِلد الإمام أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي المعروف بالغزالي سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٩ بمدينة طوس في خراسان ، ثم قدِم نيسابور وهو في العشرين من عمره ، فاتصل بإمام الحرمين أبي المعالي الْجُوَيْني ، فدرس الفقه والفلسفة ، ثم عهد إليه نظام الملك وزيرُ السلطان ملكشاه السلجوقي بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٨٤ هـ ، وتعدُّ هذه المدرسة من أعظم المعاهد العلمية العالية آنذاك .

وما لبث أن مرَّ الغزالي بأزمةٍ فكرية قوامها الشك ؛ دفعته إلى التعمق في العلوم الفلسفية ، فترك التدريس وانتقل إلى الشام ، واعتكف في المسجد الأموي ، ثم ارتحل إلى القدس ،

ومن هناك انتقل إلى بلاد الحجاز وأدى مناسك الحج . ثم عاد إلى دمشق ليدرّس العلوم الدينية في زاوية المسجد[١] .

رحل الغزالي ـ فيما بعد ـ إلى الإسكندرية في مصر فالتقى بالفقيه المشهور أبي بكر الطرطوشي صاحب كتاب سراج الملوك . ثم كُلِّف بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور من قِبل الوزير فخر الملك بن نظام الملك ، فبقي يدرّس مدة سنتين قبل أن يعود إلى مدينته طوس ليلبّي نداء ربه ، حيث وافته المنية[٢] عام ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م .

لقد كانت تجربة الغزالي الفلسفية تجربة عنيفة معقدة ؛ انتهت بانقلاب شامل على الفلسفة نجح فيه نجاحاً بارعاً . بيد أن هذا النجاح كان طعنة نجلاء قضت على ازدهار الفلسفة العقلية والانتقادية[٣] ، وأدّت إلى جمود الإبداع الفلسفي في المشرق والمغرب معاً .

(١) انظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٥٣٢/٤ .

(٢) راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٥٣/٣ .

(٣) انظر : المذاهب الفلسفية للدكتور عادل العوا ، صفحة ١٨٧ .

يوضِّح الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) صراعه الباطني في الكشف عن الحقيقة ، ويصف تجربته الفلسفية بأدق تعبير ، تلك التي بدأت بفك عرى التقليد والغرق في أتون الشك المنهجي ؛ الذي بقي فيه قرابة الشهرين على « مذهب الفلسفة بحكم الحال ؛ لا بحكم المنطق والمقال ، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها علي من أمن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ؛ بل بنور قذفه الله تعالى في الصدور .. »[1] .

لقد كانت شخصية الغزالي متعددة الجوانب ؛ رحبة الآفاق ، فهو حكيم ديني ؛ وفيلسوف واقعي ؛ ومفكِّر وضعي ؛ ومصلح اجتماعي ؛ ومهذِّب صوفي[2] . وقد كانت قبله حروب هائلة بين الفقهاء والمتصوفة ، فجاء الغزالي يصالح الفريقين ، ويرضي كثيراً من الفقهاء عن التصوف ؛ وكثيراً من المتصوفة

(١) انظر : كتابه (المنقذ من الضلال) صفحة ٦٣ .

(٢) راجع كتاب (الغزالي) للدكتور الشرباصي صفحة ٢٠ .

عن الفقهاء[١] . والظاهر من سيرته أنه كان نهماً في تحصيل العلم ، لم يدع باباً يظن أنه يوصله إلى معرفة الحقيقة إلا طرقه . ولم تعجبه الفلسفة والفقه المجرد من الروح ، ولا تعاليم الباطنية ، وإنما اطمأنَّ أخيراً إلى التصوف وأحبه وركن إليه[٢] ... وقد تابع الغزالي بمعنى إيجابي عمل القشيري ، وأعطى الصوفية مكاناً ثابتاً لدى أهل السُّنة ـ كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية ـ وقد كان الوجد بالنسبة له أساس كل حقيقة دينية ... وقد حاول جاهداً أن يعيد الناس إلى الدين وإلى طريق القدماء[٣] ..

ويرى (وَل دُيورانت) في قصة الحضارة أن اعتناق الغزالي لمذهب التَّصوف كان نصراً باهراً للصوفيين ، ذلك أن أهل السُّنة قد أخذوا من بعده بالتَّصوف ، حتى طغت ـ مع الأسف ـ عقائد الصوفية وقتاً ما على قواعد الدين ، وأخذ

---

(١) انظر : (ظهر الإسلام) لأحمد أمين صفحة ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ١٦٦/٤ .

(٣) دائرة معارف الإسلام . الطبعة الأولى عام ١٩٢٧ ـ المجلد الثاني من النسخة الفرنسية ، والمقال للمستشرق : د . ب مكدونالد .

الزهاد المتصوفة يهجرون حياة الأسرة ، ويحيون حياة الأخوة الدينية بزعامة شيخ لهم ، ويسمون أنفسهم الفقراء والدراويش[١] ..

أصل الكتاب وعملنا فيه :

إن كتاب (أسرار الصوم) هو في الأصل جزء من كتاب الغزالي الكبير الموسوم بـ (إحياء علوم الدين) ، وهو كتاب قسمه مؤلِّفه إلى مجموعة كتب ، لكنه جمعها كلها في كتابه المذكور . والذي دفعنا إلى العمل في هذا الكتاب وإعادة نشره على كتب وأجزاء أسباب كثيرة ؛ منها ما يتعلق بالجانب العلمي ، ومنها ما يتعلق بجانب التَّلقّي . فالكتاب الأصلي موسوعة دينية ضخمة ، وهو من أوسع كتب الغزالي شهرة ، ولكنه مع الأسف الشديد مطروح في الأسواق دون أي تحقيق علمي يضبط نصه ؛ ويقوِّم أخطاءه ؛ ويرتِّب أفكاره ؛ ويشرح غريبه ؛ ويغنيه بالتعليقات التي لا بدَّ منها في كتاب من هذا

---

(١) راجع قصة الحضارة ـ وُل ديورانت ٣٦٥/١٣ .

النوع لمؤلِّفٍ له ماله ، وعليه ما عليه ... فمن أجل هذه الأمور جميعاً كان عملنا في الكتاب ، كما قمنا بتخريج أحاديث الغزالي كافة بالاعتماد على ما أجمع عليه العلماء من كتب الحديث المعتمدة .

وذَكَرْنا أصل الحديث المرويّ كاملاً ؛ فإن كان له رواية أخرى تفيد السياق ذكرناها ، ذلك أن الغزالي ـ رحمه الله ـ كان يروي معظم الأحاديث بالمعنى ، ولا يحافظ ـ في الأغلب ـ على ألفاظ الحديث ، بل ربما ساق حديثاً شطره الأول صحيح ؛ وشطره الثاني مضاف وموضوع !! ومن هنا تأتي أهمية ذكر أصل الحديث كاملاً ، فعدم ذكر الحديث بألفاظه الأصلية قد يُغيِّر في بعض الأحيان من معناه الحقيقي ، وكذلك أيضاً ما يضاف إليه ، فقد يحرّف المعنى ويعدل به من جهة إلى أخرى . ثم إنَّ لِسياق الحديث وقصته وظروفه المحيطة أهميةً عظيمة في توجيه دلالته وفهم مغزاه الذي أُريدَ فعلاً .

وقد كان للإمام عبد الرحيم العراقي حاشية على كتاب الغزالي خرّج فيها أحاديثه ، غير أنه كان يكتفي ـ في أغلب

الأحيان - بذكر مصدر الحديث فقط ؛ دون إيراد النص الأصلي للحديث بألفاظه الأساسية ، أو إيراد رواياته الأخرى إن كانت ذات أهمية ... وعلى الرغم من ذلك تبقى حاشية العراقي ذات قيمة وقد أفدنا منها .

كما خُرِّجَتْ جميع الآيات القرآنية الواردة في الكتاب وذُكِرَ اسم السورة ورقم الآية ، مع إيراد الآية المذكورة كاملة ؛ ليعرف القارئ الكريم سياقها ، لأن الغزالي كان كثيراً ما يستشهد بجزء صغير من الآية ، وربما اجتثَّ هذا الجزء من سياق الآية ؛ ليأخذ منها حكماً عاماً قد كان خاصاً في الأصل .

وقد اقتضى العمل أن نتتبع الغزالي في جميع أقواله وآرائه خطوة خطوة ، فما كان محتاجاً إلى تعليق عُلق عليه ؛ كشفاً لملابساته ؛ وبياناً لأبعاده ؛ وإرشاداً لقارئه ، وهذا الأمر هو من الأهمية بمكان ؛ خاصة إذا علمنا أن الغزالي - رحمه الله - كان في بعض الأحيان يسوق آراء شخصية بلادليل ، ومن ثَمَّ فإن العمل بها غير ملزم إطلاقاً ؛ لأنها ليست أحكاماً شرعية ، وإنما وجهة نظر مفكِّر إسلامي مال إلى الزهد والتصوف ، فبالغ أحياناً في

بعض روحانياته على حساب الواقع المعيش ومبادئ الدين ، والإسلام هو في أصله دين عملٍ وإنتاج وحضارة لا دين تواجد وذِكرٍ وتواكل ..!

وبقي علينا أن نعطي للقارئ الكريم لمحة عن بعض مصطلحات الحديث وأقسامه ليكون على بيِّنة من أمره ، لأن الغزالي كان كثير الاعتماد على الحديث النبوي الشريف في بناء آرائه وأفكاره وأحكامه .

لقد اصطلح علماء الحديث على تقسيم الحديث إلى ثلاثة أقسام :

« حديث صحيح ـ حديث حسن ـ حديث ضعيف » .

وأصل الحديث الحسن ـ وهو القسم الأوسط ـ حديث ضعيف عند العلماء المتقدمين ، ولكنهم كانوا قد قسموا الحديث الضعيف إلى متروك العمل به وإلى غير متروك العمل به ، فأما الضعيف المتروك فهو ما كان راويه كثير الغلط أو متهماً بالكذب . وأما غير المتروك من الضعيف فهو ما كان راويه ليس

بكثير الغلط ولا متَّهماً بالكذب ، وإنما هو خفيف الضبط فحسب ، ثم سمي - فيا بعد - هذا النوع غير المتروك حديثاً حسناً .

وأما الموضوع فلم نذكره في القسمة السابقة لأنه ليس حديثاً بالأصل ، فهو كلام مختلقٌ ومكذوب ، يزعم واضعُه أنه مرويٌّ عن رسول الله ﷺ وما هو كذلك ، وقد قال السيوطي في التدريب :

« وإنما لم يُذكر الموضوع لأنه ليس في الحقيقة بحديث اصطلاحاً ، بل بزعم واضعه » .

وينبغي ههنا تذكير القارئ الكريم بالمفهوم الاصطلاحي لكل نوع من الأحاديث ، وما يترتب عليها من أحكام في التشريع ليعرف المغزى من القول في الحاشية تعليقاً على أحاديث الغزالي : هذا حديث صحيح ، وهذا حديث ضعيف ، وهذا لا أثر له في الكتب الستة ... إلخ .

لقد عرَّف ابن كثير في اختصار علوم الحديث ؛ الحديثَ

الصحيح بأنه الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذّاً ولا معلّلاً .

والحديث الصحيح حُجَّة في التشريع ، بل إنه لا فرق بين القرآن وبين الحديث الصحيح في التحليل والتحريم ، وقد أجمع العلماء الأقدمون كافة ـ بما فيهم أبو حنيفة ـ على أن الحديث إذا صحّ يُقدَّم على القياس والرأي .

أما الحديث الحسن فهو الحديث المسند الذي يتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ، ولا يكون شاذاً ولا معلّلاً .

وقد يوصف الحديث الحسن بأنه (حسن صحيح) حين تكون روايته التي وُصِفَتْ بالحسن قد ثبتت من جهة أخرى لها شروط الصحة .

وأما الحديث الضعيف فهو ما لم يتحقق فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحديث الحسن . وله أنواع كثيرة منها الْمُرسَل والمنقَطِعُ والْمُعْضِلُ والْمُدَلَّس والْمُعَلَّل والْمُضْطَّرب والمقلوب والشّاذ والْمُنْكَرَ ... إلخ .

والحديث الضعيف لا يجوز العمل به ؛ أو الأخذ به في أي وجه من الوجوه ولا حتى في فضائل الأعمال . وأما عبارة القدماء :

« إذا روينا في الحلال والحرام شدّدْنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا » ، فقد فُهِمَتْ على نحو مغلوط ، وهي لا تعني جواز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال ، وفي ذلك يرى الدكتور صبحي الصالح[1] ـ رحمه الله ـ أن المقصود بالتشدد هو أنهم لا يحتجون إلا بأعلى درجات الحديث وهو الصحيح . والمقصود بالتساهل هو قبول ما هو دون الصحيح في المرتبة ، وهو الحديث الحسن الذي لم تكن تسميته قد استقرت في عصرهم ، وقد كان يُعدُّ قسماً من الضعيف ـ كما ذكرنا ـ وهو غير المتروك .

إن الحديث الضعيف لا يمكن أن يكون مصدراً لحكم شرعي ، ولا لفضيلة خلقية ، لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً ،

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه ص ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ .

والفضائل كالأحكام هي من دعائم الـدين الأسـاسيـة ، ولا يجوز أن تكون هذه الدعائم مبنية على أسـاس هش ، وزوايـا ضعيفـة أساسها الشك ، فالدين لا يقوم إلا على اليقين ..

وبقي أن نشير إلى الخبر الموضـوع الـذي يـزعم واضعـه أنـه حديث عن رسول الله ﷺ ، وهو خبر يصنَعُه أحد الكـذّابين ، ويصـوغ ألفـــاظـــه ، ويخترع لـــه سنـــداً ، ثم ينسبـــه إلى الرسول ﷺ .

وقد كان للوضع أسباب كثيرة منهـا الخصومـة السيـاسيـة ، والانتصار للمذهب ، والخلافـات الكلاميـة والفقهيـة ، والتّشبُّـه بأهل العلم ، والتّكسُّب والارتزاق ، وما شاكل ذلك ..

بيد أن جهابذة العلماء الأقدمين نهضوا نهضـة قويـة لتنقيـة الحديث مما دخله وحُمِل عليه ، وسلكوا في ذلك جملـة مسـالـك واضعين منهجاً علمياً دقيقـاً ؛ يميِّزون بـه الغثّ من السَّمين ، فمن ذلـك أنهم وضعـوا قـواعـد أسـاسيـة للكشف عن الخبر المـوضـوع والحديث المكذوب ، فإن توافر واحد منها حكموا بكذب الخبر .

كما وضعوا علم الجرح والتعديل ، ودراسة رجال الأسانيد ، وقسموا الحديث تقسيماً دقيقاً من حيث قوته والأخذ به ، ووضعوا له المصطلحات والتسميات ..

وأما كتب الحديث فأصحّها ما يطلق عليه العلماء اسم (الكتب الستة) ، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود ، ومجتبى النَّسائي ، وموطأ الإمام مالك ، وقد اختلف العلماء في الكتاب السادس ، فمنهم مَن جعله سنن ابن ماجه بدلاً من موطأ مالك ... لكننا حين نذكر للقارئ الكريم في الحاشية عبارة (الكتب الستة) فإننا نقصد التقسيم الأول الذي يشمل الموطأ . وقد عوّلنا على هذه الكتب الستة في تخريج الأحاديث التي يذكرها الغزالي ، وجعلناها معتمدنا الأساسي مع النظر أحياناً إلى كتابي أحمد وابن ماجه . ولم نفعل غيرها من كتب الأحاديث استئناساً لا اعتماداً لأن هذه الأخيرة تكثر فيها الأحاديث الضعيفة من شاذ ومنكر ومضطرب وما شاكله ... مع عدم معرفة حال رجالها ، وهذا بالنسبة لأفضلها ، إذ إنّ هناك مصنفات أخرى أكثر سوءاً

جُمعت من أفواه الوعّاظ والقصّاصين والمتصوفين وأصحاب البدع والأهواء ، وهي كتب هزيلة لا يعوّل عليها أحد مطلقاً .

بيد أن الكتب الستة ليست على درجة واحدة . بل هي على درجتين ، ففي الدرجة الأولى صحيحا البخاري ومسلم ، ويمكن إضافة موطأ مالك إليهما ، ثم يليهما كتب الترمذي وأبي داود والنّسائي . وصحيح أن هذه الأخيرة لم تبلغ شأو الصحيحين والموطأ ، غير أن أصحابها لم يتساهلوا فيما اشترطوا على أنفسهم .

وتنبغي الإشارة إلى أن الغزالي - رحمه الله - كان كثيراً ما يستشهد - في معظم كتب الإحياء - بأحاديث ضعيفةٍ ، بل أحياناً بأحاديث لا أصل لها ، ثم يبني على ذلك آراء وربما أحكاماً . ووصْفُنا الحديث بالضعيف يعني أن كل ما يترتّب عليه من أمور هو غير ملزم إطلاقاً .

نسأل الله أن يتقبّل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لخدمة تراث هذه الأمة ، إنه ولي التوفيق .

ماهر المنجد

حمص في ١٠/١١/١٩٩٢

كتاب
أسرار الصوم

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنّة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمله وخيّب ظنه ؛ إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرَّفهم أنَّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة ، وأنَّ بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة ، والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السُّنة وعلى آله وأصحابه ذوي الأبصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلّم تسليماً كثيراً .

بيان فضل الصوم والترغيب فيه

أما بعد : فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ : « الصوم نصف الصبر »[1] ، وبمقتضى قوله ﷺ : « الصبر نصف

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي وأصله : =

الإيمان »[1] . ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان ؛ إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به »[2] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

= « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض ، والصوم نصف الصبر ، والطهور نصف الإيمان » .

(١) هذا الحديث غير موجود في الستة ، لكنه في حلية الأولياء منسوباً إلى أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأبو نعيم هذا إمام حافظ ثقة ، بيد أنه كان يتاجر بالحديث ، وقد روى أحد تلامذته فقال : « كنا نختلف إلى أبي نعيم الفضل بن دكين القرشي نكتب عنه الحديث ، فكان يأخذ منا الدراهم الصحاح ، فإذا كان معنا دراهم مكسورة يأخذ عليها صرفاً » (انظر : الباعث الحثيث ١١٦ والكفاية ١٥٦) .

وهناك حديث آخر في الصبر يروى عن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال : « الصَّبر معوّل المسلم » أي معتمده وسنده .

(٢) حديث صحيح أخرجه السّتة وأصله :

« كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف ، قال الله عزّ وجلّ : إلا الصوم ، فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربّه ، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك » .

أجْرَهُم بِغَيْرِ حِساب ﴾[(١)] . والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله ﷺ : « والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عزّ وجلّ : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به »[(٢)] . وقال ﷺ : « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون »[(٣)] ، وهو

---

(١) من سورة الزّمر ، الآية ١٠ : ﴿ قُل يا عِبادِ الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا رَبَّكُم ، لِلَّذينَ أحْسَنوا في هذِهِ الدُّنيا حَسَنَةٌ ، وأرْضُ اللهِ واسِعَةٌ ، إنَّما يُوَفَّى الصّابِرونَ أجْرَهُم بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ .

(٢) هو الحديث السابق ولكن برواية أخرى للبخاري هي :
« الصّيام جُنّة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وإنِ امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم - مرتين - والذي نفسي بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشهوته من أجلي ، الصيام لي ، وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها » .
الْجُنّة : السّتر والوقاية - الخلوف : تغيُّر ريح فم الصائم من ترك الأكل والشرب - الرّفث : كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنّسائي وأصله :
« إن في الجنة باباً يقال له : الريّان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، =

موعود بلقاء الله تعالى في جزاء صومه . وقال ﷺ : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه »[(١)] ، وقال ﷺ : « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم »[(٢)] ، وقال ﷺ : « نوم الصائم عبادة »[(٣)] . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب النار وصفّدت الشياطين ونادى منادٍ يا باغي الخير هلم ويا باغي الشّر أقصر »[(٤)] .

= لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » .

(١) راجع الحاشية رقم (٣) .

(٢) حديث ضعيف السند أخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المتوفّى سنة (١٨١) من حديث لأبي الدرداء .

(٣) حديث ضعيف وهو غير موجود في الكتب الستة ، لكنه في أمالي ابن منده وفي مسند الفردوس ، وفيه كذّاب وهو سليمان بن عمرو حسب رواية أبي منصور الديلمي في مسنده .

(٤) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم ومالك والنّسائي والترمذي وفي رواية الترمذي :

وقال وكيع[١] في قوله تعالى : ﴿ كُلوا واشْرَبوا هَنيئاً بِما أسْلَفْتُم في الأيّامِ الخالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقّة : ٣٤/٦٩] ؛ هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب . وقد جمع رسول الله ﷺ في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال : « إن الله يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول : أيها الشاب التارك شهوته لأجلي المبذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي »[٢] . وقال ﷺ في الصائم : « يقول الله عزّ وجلّ : انظروا يا ملائكتي إلى عبدي ترك شهوته ولذّته وطعامه وشرابه من

= « إذا كان أول ليلة من رمضان : غُلّقَتْ أبوابُ النار ، فلم يفتح منها باب ، وفُتّحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادي منادٍ : يا باغيَ الخير هلمّ وأقبل ، ويا باغي الشّر أقصر ، ولله فيه عتقاء من النار ، وذلك في كل ليلة ، حتى ينقضي رمضان » .

(١) لعلّه وكيع ابن الجراح ، ولد سنة (١٢٨) هـ ، وتوفّي سنة (١٩٨) هـ ، قال فيه أحمد بن حنبل : « الثّبت عندنا في العراق وكيع » .

(٢) حديث ضعيف غير موجود في الكتب الستة ، وقد أخرجه ابن عدي من حديث ابن مسعود .

أجلي »[١] . وقيل في قوله تعالى : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانوا يَعْمَلونَ ﴾ [السَّجدة : ١٧/٣٢] ، قيل كان عملهم الصيام لأنه قال : ﴿ إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾[٢] [الزُّمر : ١٠/٣٩] ، فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغاً ويجازف جزافاً ، فلا يدخل تحت وهم وتقدير ، وجدير بأن يكون كذلك ؛ لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه - وإن كانت العبادات كلها له - كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين :

أحدهما : أن الصوم كفّ وترك ، وهو في نفسه سرٌّ ليس فيه عمل يشاهد . وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عزّ وجلّ ، فإنه عمل في الباطن بالصّبر المجرّد .

---

(١) وهذا أيضاً غير موجود في الكتب الستة .

(٢) من سورة الزمر الآية ١٠ : ﴿ قُل يا عِبادِ الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا رَبَّكُم لِلَّذينَ أَحْسَنوا في هذِهِ الدُّنيا حَسَنَةٌ ، وأَرضُ اللهِ واسِعَةٌ ، إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ .
=

والثاني : أنه قهر لعدوّ الله عزّ وجلّ ؛ فإن وسيلة الشيطان ـ لعنه الله ـ الشهوات ؛ وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ، ولذلك قال ﷺ : « إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع »[1] ، ولذلك قال ﷺ لعائشة

(١) هذا الحديث فيه إضافة غير موجودة في الأصل ، وهذه الإضافة تحرّف معناه وتبعده عن مقصده ، ثم إن له سياقاً غير هذا السياق وباباً غير هذا الباب ، ومغزاه الحقيقي : دفع ظن السوء ؛ لا الحضّ على الجوع كما جعله الغزالي رحمه الله ، فعبارة « فضيّقوا مجاريه بالجوع » عبارة مضافة ولا أصل لها في الحديث ، وسياقه الحقيقي كما أخرجه مسلم « أن النّبي ﷺ كان مع إحدى نسائه ، فمرّ به رجل ، فدعاه وقال : هذه زوجتي ، فقال : يارسول الله ، من كنتُ أظن به فلم أكن أظنُّ بك ، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » . فالمغزى ـ كما نلاحظ ـ أن يُستحب لمن رُؤِيَ خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول : هذه فلانة ليدفع ظن السوء به .

وفي حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم وابن داود أن صفية زوج النّبي ﷺ قالت : « كان النّبي ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته . ثم قمتُ لأنقلب (أي : لأرجع) فقام معي ليقلبني ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمرّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النّبي ﷺ أسرعا ، فقال النّبي ﷺ : على رِسْلكما إنها صفية بنت حُيَيّ . =

رضي الله عنها : « داومي قرع باب الجنة ؛ قالت : بماذا ؟ قال ﷺ : بالجوع »[1] . فلمّا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسدّاً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه ؛ استحقّ التخصيص بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ ، ففي قمع عدوّ الله نصرة لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له ، قال الله تعالى : ﴿ والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْديَنَّهُم سُبُلَنا ﴾[2] [العنكبوت : ٢٩/٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِم ﴾[3] [الرّعد : ١٣/١١] . وإنما التغير

= فقالا : سبحان الله ! فقال ﷺ : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً » .

فما أبعد المعنى الحقيقي للحديث عن المعنى الذي حمّله إياه الغزالي !

(١) هذا الحديث غير موجود في الكتب الستة ، ولم أعثر على أصل له في سواها .

(٢) وتمام الآية : ﴿ والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْديَنَّهُم سُبُلَنا وإنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنينَ ﴾ .

(٣) وتمام الآية : ﴿ لَهُ مُعَقِّباتٌ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ومِن خَلْفِهِ يَحْفَظونَهُ مِن أَمْرِ اللهِ ، إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِم وإذا أرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ ومالَهُم مِن دونِهِ مِن والٍ ﴾ .

تكثير الشهوات ، فهي مرتع الشياطين ومرعاهم ، فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه ، وكان محجوباً عن لقائه . وقال ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات »[١] ، فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة ، وصار جنّة ، وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحدّ[٢] فلا بدّ من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ، ونبين ذلك بثلاثة فصول .

---

(١) حديث غير موجود في الكتب الستة ، لكنه في مسند أحمد بن حنبل برواية أبي هريرة .

(٢) ورد في السُّنة النّبوية أحاديث كثيرة تدلُّ على فضل رمضان ، منها ما رواه الشيخان :

« إذا جاء رمضان فُتّحَتْ أبواب الجنّة ، وغُلّقَتْ أبواب النّار ، وصُفّدَت الشياطين » .

« مَن قام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدّم من ذنبه » .

واجبات الصوم

أما الواجبات الظاهرة فستّة :

الأول ـ مراقبة أوّل شهر رمضان :

وذلك برؤية الهلال[١] ، فإن غُمَّ فاستكمال ثلاثين يوماً من شعبان . ونعني بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد[٢] . ولا يثبت هلال شوّال إلا بقول عدلَيْن احتياطاً

(١) لقوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » . رواه الشيخان عن أبي هريرة .

(٢) هذا حسب الشافعية والحنابلة ، أما الحنفية فاشترطوا لرؤية الهلال جمعاً عظيماً إذا كانت السماء صحواً . وفي هذا الموضوع تفصيلات عديدة واختلافات كثيرة أصبحت في عصرنا الحالي لا تؤدي إلا إلى تمزيق شمل الأمة الإسلامية وترسيخ خلافاتها حتى أمسى نادراً أن يصوم جميع المسلمين في يوم واحد ، فعند قوم رمضان وعند آخرين شعبان ، وأناس صائمون وأناس مفطرون ! بل تعدّى الأمر إلى العيد ، إذ بات يحلّ في بلاد إسلامية ويتأخر يوماً في بلاد إسلامية أخرى ثمّ يُزْعَم في كل ذلك مرضاة الله من حيث التدقيق في تطبيق ما شرّع !..
=

للعبادة . ومن سمع عـدلاً ووثق بقولـه وغلب على ظنـه صـدقـه لزمه الصوم ، وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادتـه مـوجب ظنـه ، وإذا رؤي الهـلال ببلـدة ولم يرَ بـأخرى ـ وكان بينهما أقـل من مرحلتين ـ وجب الصـوم على الكل ، وإن كان أكثر لكل بلدة حكمها ، ولا يتعدّى الوجوب .

الثاني ـ النّيّة :

ولا بدّ لكل ليلة من نيّة مبيّتة معينة جازمـة ، فلو نوى أن يصوم شهر رمضـان دفعـة واحـدة لم يكفـه ، وهو الـذي عنينـا بقولنـا « كل ليلـة » ، ولو نوى بـالنهـار لم يجزه صوم رمضـان ؛ ولا صوم الفرض ؛ إلا التّطوع الذي عنينـا بقولنـا « مبيّتـة » ، ولو نـوى الصـوم مطلقـاً أو الفرض مطلقـاً لم يجـزه حتى ينـوي

= فعجباً ! أي مرضاة لله ومن الأهداف الأولى لصوم رمضان الإشعار بوحدة المسلمين الحسية في مشارق الأرض ومغاربها ... بل إنـه مـا من جهـة حتى الآن فكّرت في بنـاء مرصـد جوّي إسلامي متطوّر مـوحّـد لرصـد حركـة القمر وإثبات ظهوره وعرض ذلك على كل شاشـات التلفزة ليكون ذلـك مساعداً للعين المجردة على تقصي القمر !

فريضة الله عزّ وجلّ صوم رمضان ، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غداً إن كان من رمضان لم يجزه ، فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيّته إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم ، أو يستند إلى استصحاب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النّيّة ، أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده ، فشكه لا يمنعه من النّيّة . ومهما كان شاكّاً ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب . ولا يتصوّر فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان : « أصوم غداً إن كان من رمضان » ، فإن ذلك لا يضرّه ؛ لأنه ترديد لفظ ، ومحل النّيّة لا يتصوّر فيه تردد ؛ بل هو قاطع بأنه من رمضان ؛ ومن نوى ليلاً ثم أكل لم تفسد نيّته ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صحّ صومها .

الثالث ـ الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمداً مع ذكر الصوم :

فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة ، ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والإحليل ؛ إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة ، وما يصل بغير قصد من غبار الطريق ، أو ذبابة تسبق إلى جوفه ، أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة ، فلا يفطر إلا إذا بالغ في المضمضة ؛ فيفطر لأنه مقصر ، وهو الذي أردنا بقولنا « عمداً » . فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس ؛ فإنه لا يفطر . أما من أكل عامداً في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء ، وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ، ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بنظر واجتهاد .

الرابع ـ الإمساك عن الجماع :

وحدّه مغيب الحشفة ، وإن جامع ناسياً لم يفطر ، وإن جامع ليلاً أو احتلم فأصبح جنباً لم يفطر ، وإن طلع الفجر

وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه ، فإن صبر فسد ولزمته الكفارة .

الخامس ـ الإمساك عن الاستمناء :

وهو إخراج المني قصداً بجماع أو غير جماع ، فإن ذلك يفطر ، ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل ، لكن يكره ذلك ، إلا أن يكون شيخاً أو مالكاً لإربه ، فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن يُنزل ؛ فقبّل وسبق المني أفطر لتقصيره .

السادس ـ الإمساك عن إخراج القيء :

فالاستقاء[١] يفسد الصوم وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه ، وإذا ابتلع نخامة[٢] من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به ، إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

---

(١) الاستقاء : تكلُّف إخراج القيء .

(٢) النخامة : ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه .

لوازم الإفطار

وأما لوازم الإفطار فأربعة : القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيهاً بالصائمين .

١ ـ القضاء :

أما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف تَرَك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد . وأما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ، ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ، ولكن يقضي كيف شاء متفرقاً ومجموعاً .

٢ ـ الكفارة :

وأما الكفارة فلا تجب إلا بالجماع . وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لا يجب به كفارة ، فالكفارة عتق رقبة ، فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين ، وإن عجز فإطعام ستين مسكيناً مدّاً مدّاً .

٣ ـ إمساك بقية النهار :

وأما إمساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه . ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها . ولا على المسافر إذا قدم مفطراً من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عَدْلٌ واحد يوم الشك . والصوم في السفر أفضل من الفطر ، إلا إذا لم يطق ، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيماً في أوله ، ولا يوم يقدم إذا قدم صائماً .

٤ ـ الفدية :

وأما الفدية فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما ، لكل يوم مدّ حنطة لمسكين واحد مع القضاء ، والشيخ الهرم[1] إذا لم يصم تصدّق عن كل يوم مداً .

(١) أي تجب الفدية على الشيخ الهرم إذا لم يصم .

سنن الصيام

وأما السنن فست :

١ ـ تأخير السحور .
٢ ـ وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة .
٣ ـ وترك السواك بعد الزوال .
٤ ـ والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة .
٥ ـ ومدارسة القرآن .
٦ ـ والاعتكاف في المسجد ، لا سيما في العشر الأخير ، فهو عادة رسول الله ﷺ : « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله »[1] ؛ أي أداموا النصب في

(١) حديث صحيح مع اختلاف في الألفاظ ، وقد أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأصله : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجَدّ ، وشدّ المئزر » . وكلمة (الأواخر) ليست من صلب الحديث ، وإنما هي تفسير . وعبارة -

العبادة إذ فيها ليلة القدر ، والأغلب أنها في أوتارها ، أشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع . والتتابع في هذا الاعتكاف أولى ، فإن نذر اعتكافاً متتابعاً أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة ؛ كما لو خرج لعيادة[1] أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة ، وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع . وله أن يتوضأ في البيت . ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر ، « كان ﷺ لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا ماراً »[2] ، وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع

= (شد المئزر) كناية عن الجد والاجتهاد في العمل ، أو عن اجتناب النساء .

(١) أي لزيارة المريض .

(٢) حديث صحيح أخرجه الشيخان وأبو داود مع اختلاف اللفظ ، له روايات عديدة ، أقربها إلى ما ذكر الغزالي ما روته عائشة (رضي الله عنها) : « وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً » .

أما الشق الثاني من الحديث المتعلق بالسؤال عن المريض فهو يروى أيضاً على أنه من فعل عائشة (رضي الله عنها) ، ففي رواية للموطأ : أن عائشة كانت إذا اعتكفت لا تسأل عن المريض إلا وهي تمشي ، لا تقف . وفي رواية أخرى لأبي داود قالت : « كان رسول الله ﷺ يمر بالمريض وهو معتكف ، فيمر ولا يُعرِّج يسأل عنه » .

بالتقبيل . ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد في الطست ، فكل ذلك قد يُحْتَاج إليه في التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه ، « كان ﷺ يدني رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة»[١] ، ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولاً عشرة أيام مثلاً . والأفضل مع ذلك التجديد .

---

(١) حديث صحيح أخرجه الستة ، وأصله أن عائشة (رضي الله عنها) : « كانت تُرَجِّل النبي ﷺ وهي حائض ، وهو معتكف في المسجد ، وهي في حجرتها يناولها رأسه » .
وفي رواية الترمذي وأبي داود والموطأ : « كان إذا اعتكف أدنى إليّ رأسه فأرَجِّله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان » . ومعنى (أرجله) من الترجيل أي تسريح الشعر .

أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله .

وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عزّ وجل بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ؛ وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين ، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا ، حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كُتبت عليه خطيئة[1] ، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عزّ وجل وقلة اليقين برزقه الموعود ، وهذه رتبة الأنبياء

(١) هذا كلام مخالف لتعاليم الشريعة ، ففيه حضّ على التقاعس عن العمل =

والصديقين والمقربين[1] ، ولا يطول النظر في تفصيلها قولاً ؛ ولكن في تحقيقها عملاً ، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عزّ وجل ، وانصراف عن غير الله سبحانه ، وتلبس بمعنى قوله عزّ وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[2] [الأنعام : ٦/٩١] .

ـ صوم الخصوص والصالحين :

وأما صوم الخصوص ـ وهو صوم الصالحين ـ فهو كفّ الجوارح عن الآثام ، وتمامه بستة أمور :

= وترغيب بالتواكل ، وهذا منهيّ عنه ومأمور بعكسه . لكن الأشدّ من هذا أن المؤلف يجعل العمل في طلب الرزق وتدبير ما يفطر عليه الصائم خطيئة من الخطيئات ، وهذا ـ لعمري ـ فيه بُعْدٌ عن مقتضى الشرع الإسلامي ، والغزالي ينسب حكمه هذا إلى أرباب القلوب ، فليت شعري : مَن هؤلاء أرباب القلوب ؟! ومن أين تؤخذ أحكام الدين ، أمن أرباب القلوب أم من القرآن والسنة ؟!

(١) لا نظن أن هذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ، فما سمعنا بنبيٍّ من أنبياء الله كان عاطلاً ومتقاعساً ، ثم أتاه رزقه الموعود ، وأنزل الله زاداً من السماء ليفطر عليه بعد صومه !

(٢) يحاول المؤلف هنا أن يثبت كلامه السابق بالاستشهاد بهذه الآية ، بيد أنه =

١ ـ صوم البصر :

غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره ، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عزّ وجل ، قال ﷺ : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عزّ وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه »(١) . وروى جابر عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه

= اجتزأها واجتثها من سياقها ، إذ لاعلاقة لها بما يقول لا من قريب ولا من بعيد ، فالآية كاملةً هي : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٦/٩١] .
فالآية ههنا تتحدث عن اليهود أو الكفار الذين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم ، وأنكروا إنزال القرآن على الرسول ﷺ ، فجادلهم الله بقضية لا يستطيعون إنكارها إذ سألهم ﴿ قُل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ ثم أجاب بقوله ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أي : الله أنزله ، ثم أتبعه بقوله ﴿ ثُمَّ ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ أي دعهم في جهلهم وباطلهم وضلالهم الذي يخوضون فيه .

(١) هذا الحديث غير موجود في الكتب الستة . وقد أخرجه الحاكم بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان .

قال : « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة »[(١)] .

٢ ـ صوم اللسان :

حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، وإلزامه السكوت ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن ، فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه . وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب . وقال ﷺ : « إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم »[(٢)] . وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد

(١) حديث ضعيف أخرجه الأزدي في الضعفاء وفيه أحد الكذابين وهو (جابان) لا جابر ، جرّحه أبو حاتم الرازي .

(٢) حديث صحيح أخرجه الستة وأصله في إحدى رواياته : « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به ، الصيام جُنّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ، فإن شاتمة أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم =

رسول الله ﷺ ، فأجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار ، حتى كادتا أن تتلفا ، فبعثتا إلى رسول الله ﷺ يستأذنانه في الإفطار ، فأرسل إليهما قدحاً وقال ﷺ : « قل لهما قيئا فيه ما أكلتما ، فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً ، وقاءت الأخرى مثل ذلك ، حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك ، فقال ﷺ هاتان صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما ، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس ، فهذا ما أكلتا من لحومهم »[1] .

= أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » . ومعنى (الصيام جنة) : وقاية من النار .

(١) حديث ضعيف لأنه منقطع وقد أخرجه أحمد ، وهو تجسيد حسّي لمعنى الآية الكريمة المعروفة في الغيبة حتى كأنه من فهم العوام ، فقد أراد الله أن يبيّن مدى سوء الغيبة وفحشها وأن يكرّه الناس بها فقال : ﴿ وَلا يَغْتَب بَعضُكم بَعضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢/٤٩] .
فهنا أراد الله أن يصوّر تصويراً ويمثّل تمثيلاً ما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه ، وهو لم يكتف بتشبيه الاغتياب بأكل =

٣ ـ صوم السمع :

كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ، ولذلك سوّى الله عزّ وجل بين المستمع وآكل السحت ، فقال تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[1] [المائدة : ٥/٤٢] . وقال عزّ وجل : ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾[2] [المائدة : ٥/٦٣] ، فالسكوت على الغيبة حرام . وقال تعالى :

= لحم الإنسان ، بل جعل هذا الإنسان أخاً ، ولم يقتصر على أكل لحم الأخ ، بل جعله ميتاً ، وهذا ما جُبل الإنسان على كراهيته ، فالمعنى أنه : كما تكرهون هذا الأكل طبعاً وجبلّةً فاكرهوا تلك الغيبة شرعاً ، وليس المعنى أنّ من يغتاب يأكل من لحم أخيه على وجه الحقيقة الحسية . فهذا فهم العوام من الناس ، والحديث المذكور يعبرّ عن هذا الفهم ، وقد قال عنه ابن كثير لمّا ذكر نحوه في تفسيره : « إسناد ضعيف ومتن غريب » .

(١) سورة المائدة ، الآية /٤٢/ : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

(٢) سورة المائدة ، الآية /٦٣/ : ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾[١] [النساء : ٤/١٤٠] ولذلك قال ﷺ : « المغتاب والمستمع شريكان في الإثم »[٢] .

٤ ـ صوم بقية الجوارح :

كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار . فلا معنى للصوم ـ وهو الكف عن الطعام الحلال ـ ثم الإفطار على الحرام ، فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصراً ، فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيهاً . والحرام سم مهلك للدين . والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره . وقصد الصوم تقليله ، وقد قال ﷺ : « كم من

(١) سورة النساء ، الآية /١٤٠/ :
﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَن إذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهَ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ .

(٢) هذا الحديث لا أثر له في الكتب الستة . وهو حديث ضعيف السند رواه الطبراني من حديث ابن عمر .

صائم ليس لـه من صومـه إلا الجـوع والعطش »[١] ، فقيـل هـو الذي يفطر على الحرام ، وقيل هو الـذي لا يحفـظ جوارحـه عن الآثام .

٥ ـ عدم الإكثار من الطعام :

لا يستكثر من الطعـام الحـلال وقت الإفطـار بحيث يمتلئ جوفه ، فمـا من وعـاء أبغض إلى الله عزّ وجل من بطن ملئ من حـلال[٢] . وكيف يستفـاد من الصـوم في قهر عـدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره ، وربمـا يزيد عليه في ألوان الطعام ؟ حتى استمرت العادات بأن تـدخر جميع الأطعمة لرمضـان فيؤكل من الأطعمـة فيـه مـا لا يؤكل في عـدّة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقـوى . وإذا دفعت المعـدة من ضحـوة نهـار إلى العشـاء حتى هـاجت شهوتهـا وقـويت رغبتهـا ، ثم أطعمت من

(١) رواه أبو هريرة وأخرجه النسائي وابن ماجه .

(٢) هذا كلام يُساق دون دليل ، ولم يرد شيء فيما أعلم عن مثل هـذا البغض ، ولعل هذا القول له علاقة بزهد الغزالي وتقشفه آخر حياته .

اللذات وأشبعت ؛ زادت لذتها ، وتضاعفت قوتها ، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلاّ بالتقليل ؛ وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوةً إلى ما كان يأكل ليلاً لم ينتفع بصومه[1] . بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى ، فيصفو عند ذلك قلبه ، ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه ، فينظر إلى ملكوت السماء . وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١/٩٩] . ومَن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب . ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عزّ وجل وذلك هو الأمر كله ، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام .

(١) هذا كلام بلا دليل ، وهو رأي شخصي لا حكم فقهي .

٦ ـ تعلق القلب بين الخوف والرجاء :

أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء ؛ إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين ؛ أو يرد عليه فهو من الممقوتين ؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها ، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون ؛ فقال : إن الله عزّ وجل جعل شهر رمضان مضاراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته ؛ فسبق قوم ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون . أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه ؛ والمسيء بإساءته ، أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسدّ عليه باب الضحك . وعن الأحنف بن قيس : أنه قيل له إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك ، فقال : إني أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم .

روح الصيام

فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء : (صومه صحيح) فما معناه ؟ فاعلم أنّ فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة ؛ لا سيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته . فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول ، وبالقبول الوصول إلى المقصود . ويفهمون أنّ المقصود من الصوم التخلّق بخلق من أخلاق الله عزّ وجل وهو الصمدية ، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنهم منزهون عن الشهوات ، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلياً بمجاهدتها ، فكلما انهمك في الشهوات انحط

إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى علّيين والتحق بأفق الملائكة . والملائكة مقربون من الله عزّ وجل ، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عزّ وجل كقربهم ، فإن الشبه من القريب قريب ، وليس القرب ثمّ بالمكان بل بالصفات .

وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخرى طوال النهار ؟ ولو كان لمثله جدوى فأي معنىً لقوله ﷺ : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ، ولهذا قال أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ! ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترّين . ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أنّ مثل من كفّ عن الأكل والجماع ؛ وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات ، فقد وافق في الظاهر العدد ؛ إلا أنه ترك المهم وهو الغسل ؛ فصلاته مردودة عليه بجهله .

ومثل من فطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة ، فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مراتٍ ؛ فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال .

وقد قال ﷺ : « إنّ الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته »[1] . ولما تلا قوله عزّ وجل : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾[2] [النساء : ٥٨/٤] وضع يده على سمعه

(١) هذا الحديث غير موجود في الكتب الستة . وهو حديث حسن أخرجه الخرائطي عن ابن مسعود .

(٢) ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعِمّا يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ [النساء : ٥٨/٤] .

وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة »[١] ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ : « فليقل إني صائم » ؛ أي أني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك ؟ فإذن : قد ظهر أن لكل عبادة ظاهراً وباطناً ؛ وقشراً ولباً ، ولقشرها درجات ، ولكل درجة طبقات . فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

(١) هو في سنن أبي داود برواية أبي هريرة .

التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة ، وبعضها يوجد في كل شهر ، وبعضها في كل أسبوع . أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ؛ ويوم عاشوراء ؛ والعشر الأول من ذي الحجة ؛ والعشر الأول من المحرم . وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وهي أوقات فاضلة « وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى كان يظنّ أنه في رمضان »[1] .

وفي الخبر : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم »[2] ، لأنه ابتداء السنة ، فبناؤها على الخير أحب وأرجى

(١) حديث صحيح وهو قريب من الآصل أخرجه الستة بروايات مختلفة اختلافات يسيرة ، وفي رواية البخاري ومسلم : « لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله ... » وفي أخرى « كان يصوم شعبان إلا قليلاً » .

(٢) حديث رواه مسلم وأبو داود وأصله :

لدوام بركته . وقال ﷺ : « صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام »(١) . وفي الحديث : « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام ؛ الخميس والجمعة والسبت ؛ كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام »(٢) . وفي الخبر : « إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان »(٣) . ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياماً ، فإن وصل شعبان برمضان فجائز ، فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة وفصل مراراً كثيرة(٤) . ولا يجوز أن يقصد

= « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرّم ، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل » . وله رواية أخرى قريبة .

(١) هذا الحديث لا وجود له في الكتب الستة . وقد أخرج الطبراني في المعجم الصغير ما يشبهه دون التفضيل .

(٢) حديث ضعيف أخرجه الأزدي في الضعفاء .

(٣) هذا الحديث له روايات مختلفة أقربها إلى ما ذكره المؤلف ما أخرجه أبو داود :

« إذا انتصف شعبان فلا تصوموا »

(٤) من الأحاديث التي تدل على أن الرسول ﷺ قد وصل شعبان برمضان ما أخرجه أبو داود والنسائي في إحدى رواياته : « كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ، ثم يصله برمضان » . =

استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق ورداً له . وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله ؛ حتى لا يضاهي بشهر رمضان . فالأشهر الفاضلة : ذو الحجة والمحرّم ورجب وشعبان . والأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد ، وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوّال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرّم ورجب ليسا من أشهر الحج . وفي الخبر « ما من أيام العمل فيهنّ أفضل وأحب إلى الله عزّ وجل من أيام عشر ذي الحجة ، إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة ، وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر ، فقالوا : ولا الجهاد في سبيل الله تعالى ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله عزّ وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه »[1] .

= وما أخرجه الترمذي وهو قول أم سلمة (رضي الله عنها) : « ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » وما رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وهو حديث حسن :

« ما رأيته يصوم شهرين متتابعين ، إلا أنه كان يصل شعبان برمضان » .

(١) فيما رواه الغزالي من هذا الحديث هو دمج لروايتين مع بعض التغيير في =

وأما ما يتكرر في الشهر : فأول الشهر وأوسطه وآخره ، ووسطه الأيام البيض وهي : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع ؛ فالاثنين والخميس والجمعة ، فهذه هي الأيام الفاضلة ، فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات .

وأما صوم الدهر فإنه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته[1] .

= اللفظ ، الأولى أخرجها الترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والثانية أخرجها البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) .

- الرواية الأولى : « ما من أيام أحب إلى الله أن يُتَعبَّد له فيها من عشر ذي الحجة ، يعدل صيام كل يومٍ منها بصيام سنة ، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر » .

- والرواية الثانية : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر ، فقالوا : يارسول الله : ولا الجهاد ؟ قال : ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله ، فلم يرجع بشيء » .

(١) من الأحاديث التي تدل على كراهة صوم الدهر ما أخرجه النّسائي في رواية عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) وفي أخرى عن عبد الله بن

والصحيح أنه إنما يكره لشيئين ؛ أحدهما : أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله ، والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجراً على نفسه ؛ مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه . فإذا لم يكن شيء من ذلك ؛ ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك(١) . فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله

= عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ، « من صام الأبد فلا صام ولا أفطر » . وفي رواية الشيخين وأحمد : « لا صام من صام الأبد » وفي السنة الشريفة أنه (ﷺ) ما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان . وسيرد الحديث في الحاشية ٣ .

(١) كلام غريب أن يشجع الغزالي على صوم الدهر والرسول نفسه لم يرض به ، فبالإضافة إلى الحديث السابق الذي سقناه في الحاشية (١) هناك حديث آخر مشهور يحذر فيه الرسول ﷺ من صوم الدهر . فحينما علم بأمر الرجال الثلاثة الذين شددوا على أنفسهم إذ قرر أحدهم أن يصلي الليل أبداً ، والثاني أن يصوم الدهر ولا يفطر ، والثالث أن يعتزل النساء ... جاء إليهم ﷺ وقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . أخرجه البخاري ومسلم .

عنهم . وقال ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري : « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعَقَدَ تسعين »[١] ، ومعناه لم يكن له فيها موضع ، ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها ، وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لأن العيد فيه بين صوم يوم وشكر يوم ، فقد قال ﷺ : « عرضت عليّ مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت »[٢] . وقال ﷺ : « أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً »[٣] . ومن ذلك « منازلته ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله

(١) رواه البيهقي وأحمد ، لا ذكر له في الكتب الستة .

(٢) حديث حسن لكنه بلفظ آخر : وقد أخرجه الترمذي وأصله :
« عرضَ عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلتُ : لا يا ربّ ، ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتُك وشكرتك .. » .

(٣) حديث صحيح له روايات عديدة أخرجها مسلم والترمذي والنسائي وفي رواية الترمذي : « أفضل الصوم صوم أخي داود ؛ كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى » .

عنها في الصوم وهو يقول : إني أطيق أكثر من ذلك ، فقال ﷺ : صم يوماً وأفطر يوماً ، فقال : إني أريد أفضل من ذلك ، فقال ﷺ : « لا أفضل من ذلك »[(١)] . وقد روي أنه ﷺ ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان »[(٢)] بل كان يفطر منه .

من لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم يوماً ويفطر يومين . وإذا صام ثلاثة من أوّل الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع في الأوقات الفضيلة . فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل . والفقيه

(١) أحاديث كثيرة : تدور حول هذا المعنى بروايات متعددة تروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أخرجها البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود .

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود . يُروى عن عائشة (رضي الله عنها) وأصله : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان » .

بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضي حاله دوام الصوم ، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً . ولذلك روي أنه ﷺ : « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام »[1] . وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات .

وقد كره العلماء أن يوالي بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديراً بيوم العيد وأيام التشريق ، وذكروا أن ذلك يقسي القلب ، ويولد رديء العادات ، ويفتح أبواب الشهوات ، ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق ، ولا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أوردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوّع به والله أعلم بالصواب .

---

(١) راجع الحديث السابق في الحاشية (٣) .

تم كتاب : أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محـامـده كلهـا ؛ ما علمنا منها ، وما لم نعلم على جميع نعمه كلهـا ؛ مـا علمنـا منهـا وما لم نعلم ، وصلى الله على سيدنا محمـد وآلـه وصحبـه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء .



كتب للمؤلِّف

تأليف :

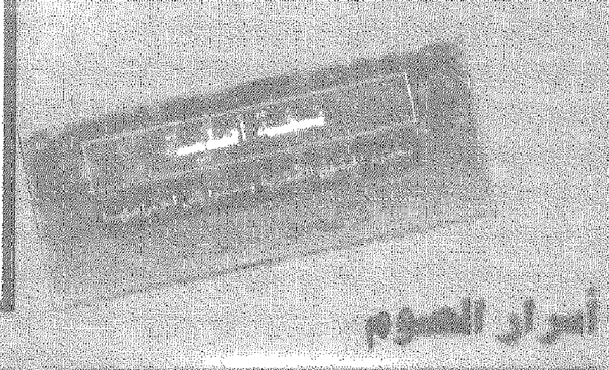
☆ الإشكاليـة المنهجيـة في كتـاب (الكتـاب والقرآن) ، دراسـة نقـديـة لكتـاب (د . محمـد شحرور) . دار الفكر/١٩٩٤ م .

تحقيق :

☆ التَّفكُّر في خلـق الله ، للإمـام أبي حـامـد الغـزالي ، دار الفكر/١٩٩٥ م .





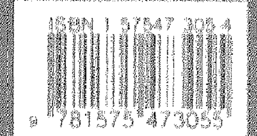


أسرار الصوم

لقد كانت شخصية الغزالي متعددة الجوانب ، رحبة الآفاق ، فهو حكيم شرعي ، وفيلسوف واقعي ، ومفكر ناقد ، ومصلح اجتماعي ، ومهذب صوفي ، وكان سباقاً إلى تحصيل العلوم ، ليهتدي بالنظر إليه بوساطته إلى معرفة الحقيقة الإلهية .

وكتاب (أسرار الصوم) جزء من كتاب الغزالي الكبير الموسوم بـ (إحياء علوم الدين) ، قدمه الأستاذ المحقق مع ضبط علمي لنصه ، وتقديم لأحكامه ، وترتيب لأفكاره ، وشرح لغريبه ، وتعليقات وتخريج لأحاديثه كافة ، بالاعتماد على ما أجمع عليه العلماء من كتب الحديث الشريف المعتمدة .

(أسرار الصوم) بيان لفضل الصوم ، ولوازم الإفطار ، وروح الصوم وأسراره وشروطه ، وترتيب الإرادة .


ISBN 1 57547 305 4
9 781575 473055

Secrets of Fasting
Asrār al-Sawm
By: Abu Hamid al-Ghazali
Rev: Māhir al-Munajjid

http://www.Fikr.com/
Mail: info@Fikr.com